

المحاضرة الثانية

السنة: الثالثة

الثلاثاء/24/3/2020

المصطلح الفلسفي عند الكندي

د. رائده الدالي

صب الكندي اهتمامه على المصطلحات التي يجب استخدامها في العلم، ووضع رسالة بعنوان "في حدود الأشياء ورسومها" (الألفاظ الفلسفية)، وتمثل هذه الرسالة مرحلة التأسيس لجهود من سبقه (جابر ابن حيان)، ذلك أن الكندي قد وضع 109 مصطلح فلسفي منها 45 مصطلح لم يعرفها جابر، مما يؤكد أن بداية تكوين المصطلح الفلسفي بدأ مع الكندي. حيث أصبحت الألفاظ عند الكندي أكثر تطوراً من حيث انطباقها على المعاني. فالتعريفات التي قدمها الكندي في رسالته تعريفات فلسفية، قصيرة لكنها دقيقة وتدل على الفهم التام لموضوع التعريف. مثال: تعريف الصورة بأنها: الشيء الذي به الشيء هو ما هو. وتعريف الإنسانية بأنها: الحياة والنطق والموت. والملائكية بأنها الحياة والنطق. والبهيمية: الحياة والموت. كما ينفرد الكندي بأنه إذ يحاول وضع الإصطلاح يعتمد إلى إحياء كلمات عربية قديمة مثل "الأيس" التي يرى البعض بأنها سريانية. كما أنه حاول تعريب بعض المصطلحات مثل: الهول، الفانطازيا، الاسطقس. وغيرها.

الأيس: للدلالة على الوجود، ويجمعها أيسات، ثم يشتق منها لفظ الأيسية للدلالة على حالة الوجود، ويشترك منها فعلاً يؤيس بمعنى يوجد الشيء من العدم ويشترك من الفعل مصدرأ: التأيس في معنى الإيجاد مطلقاً، وعليه يسمى الكندي الإله تعالى بالمؤيس أي الموجد. والليس: يعني العدم. فيصبح تحديد الفعل الإبداعي الحقيقي عند الكندي "تأيس الأيسات عن ليس" يعني أوجد الموجودات عن عدم. يقول الكندي "إن الفعل الحقي الأول تأيس الأيسات عن ليس". وهذا الفعل التأيس يختص به الله وحده.

الهوية: يستعمل الكندي العربية أكثر فيضيف أداة التعريف إلى الضمير الغائب المفرد "هو" ليدل على الموجود المتعين الذي يمكن أن يشار إليه بقولنا "هو". ومن لفظ "الهو" يشتق لفظ "الهوية" بمعنى الوجود الجزئي المتعين تحت الحس، في مقابل الحقيقة أو الماهية المعقولتين. ثم يصوغ من من الضمير "هو" فعلاً "يهوي" بمعنى يوجد أو يجعل الشيء هو أي شيئاً جزئياً مشاراً إليه، وعلى ذلك يسمى الله تعالى مهوي الهويات عن ليس. أي موجد الموجودات عن عدم. والفعل يتهوى بمعنى يخرج إلى الوجود المتعين، ويصف هذا الشيء الخارج إلى الوجود فيقول "التهوي" ويصف فعل الخروج بقوله "التهوي". فتكون الصياغة "إن الشيء يتهوى أيضاً عن ليس بفعل المؤيس".

القنية: الملكة. وفي تعريفه للفلسفة يقول "الفلسفة هي قنية علم الأشياء بحقائقها".

وأدخل مصطلحات كثيرة كالتوهم، الجرم، النجدة، والدخل، والروية، الملازمة، الجريزة. هذا بالإضافة إلى مصطلحات ذات صبغة هرمسية عرفانية مثل: الخاطر، السانح، الاستعمال.

ومن المصطلحات أيضاً مصطلح (الفلسفة) حيث وضع في تحديدها ستة حدود، وأهم ما جاء في أقواله:

الفلسفة بحسب الاشتقاق هي حب الحكمة لأن فيلسوف هو مركب من فلا وسوفاء، وربما هذا دليل على عدم معرفة الكندي باليونانية لأنه من أبسط الأمور أن يقول فيلوس أو فيلو (محب) وسوفيا بدلا من سوفاء.

الفلسفة بحسب تأثيرها: هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان-أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة يرجع هذا التعريف إلى أفلاطون.

الفلسفة بحسب غايتها: هي العناية بالموت، والموت عندهم موتان: طبيعي، وهو ترك النفس استعمال البدن، والثاني إماتة الشهوات، وهذا هو الموت الذي قصدوا إليه، لأن إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة، ولذلك قال الكثير من أجلة القدماء: اللذة شر.

فباضطرار أنه إذا كان للنفس استعمالان: أحدهما حسي، والآخر عقلي، كان مما سمى الناس لذة ما يعرض في الاحساس، لأن التشاغل بالذات الحسية ترك لاستعمال العقل". وأيضاً هذا التعريف مأخوذ من أفلاطون.

الفلسفة بحسب العلة: صناعات الصناعات، وحكمة الحكم.

كما يعرف الكندي الفلسفة أنها (معرفة الإنسان نفسه) وهذا قول شريف النهاية، بعيد الغور. لأن الإنسان إذا عرف نفسه عرف كل شيء، ويقول: لهذه العلة سمى الحكماء الإنسان عالماً صغيراً. هذا التعريف يقوم على القول المشهور في فلسفة سقراط "اعرف نفسك"، ومن جهة أخرى ورد مثل هذا التعريف في قول النبي (ص) "من عرف نفسه عرف ربه"، وقول علي بن ابي طالب (ع) أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، والكندي يورد هذه النظرية عند الفلاسفة القدماء "الإنسان عالم صغير" لأن فيه توجد كل القوى الموجودة في الكل. الفلسفة بحسب جوهرها الخاص: هي علم الأشياء الكلية: آلياتها، ماهيتها، علها، بقدر طاقة الإنسان.

هذه التعريفات أوردها الكندي دون أن يرجح أحدها على الآخر، كما أن الكندي لم ينسب هذه التعريفات إلى نفسه، لأنه يقول في بداية كلامه: الفلسفة كما حدها القدماء هي: ويبدأ بالحديث. كما وضع الكندي في رسائله تعريفاً للفلسفة ربما يختص به هو حيث يقول: "الفلسفة هي نظم النفس" وهذا التعريف مهمل عند الباحثين. وبشكل عام فإن أسلوب الكندي في رسائله يتسم بالايجاز، والاقتصار من الألفاظ على ما يضبط المعنى، ويمثله في الذهن مستقيماً. وإن كان قد نقل عن الكندي روايات في نقد الشعر، والجدل، وأسرار البلاغة العربية، لكنه لم يكن شاعراً، ولا أديباً. وقد عاب عليه الشهرزوري في كتابه نزهة الأرواح ضعف بيانه فقال: "إن الكندي على غزارته، وجودة استتباطه، رديء اللفظ، قليل الحلاوة، متوسط السيرة، كثير الغارة على حكمة الفلاسفة".

المنهج عند الكندي:

يرى الكندي أن لكل علم منهج فيقول إذا اتبعنا المنهج
سهلت علينا المطالب المقصودة، وإذا خالفنا أخطأنا
أغراضنا لمطالبنا، وعسر علينا وجدان مقصوداتنا، فمن
بحث في الأشياء التي لا هيولى لها ولا تقارن الهيولى
فلن يجد لها مثلاً في النفس، بل يجدها بالأبحاث العقلية،
ويقول:

احفظ هذه المقدمة لتكون لك دليلاً قاصداً سواء الحق،
فمن طلب تمثل المعقول على غرار المحسوس لا
يدركه، ومن أبى إلا تمثله فإنه لا يدركه، ويكون
كالوطواط الذي تعشى عينيه عن رؤية الأشياء الواضحة
في شعاع الشمس".

ثم يتابع الكندي مشيراً إلى الخطأ المنهجي الذي وقع فيه
الباحثين فيقول:

لهذه العلة تحير الكثير من الناظرين في الأشياء الطبيعية
فاستعملوا للبحث عنها تمثلاً في النفس على قدر
عاداتهم في الحس، وذلك لا ينبغي أن يكون فيما لا
هيولى له، لأن الهيولى موضوعة للانفعال، فهي
متحركة، والطبيعة علة أولية لكل متحرك سكان.

أما المنهج الواجب اتباعه فيما بعد الطبيعة فهو البرهان،
لأن البرهان يفيد اليقين.

فلا ينبغي أن نطلب في العلم الرياضي إقناع.
ولا في العلم الالهي حساً وتمثيلاً.

ولا في أوائل العلم الطبيعي الجوامع الفكرية.
ولا في البلاغة برهان.

ولا في أوائل البرهان برهان. وهنا يشير الكندي إلى
القضايا الأولية البديهية التي ينتهي إليها البرهان، ولو
أنه كان لكل برهان برهان لتوقفت المعرفة.